

الخطاب السيادي هو المنتصر

بقلم الياس بجاني

مسؤول لجنة الإعلام في المنسقية العامة للمؤسسات اللبنانية الكندية

يمكننا في التيار الوطني الحر، بقيادة دولة الرئيس العماد ميشال عون الواعية المبنية على ثوابت وطنية جامعة أن نقول وبراحة ضمير إن جهاد التيار السلمي الغاندي وتضحيات شبابه المدروسة الفاعلة على الأرض والخطاب السيادي الذي أطلقه العماد وتمسك به بعناد وإيمان دون مساومة طوال ثلاث عشرة سنة قد هزموا خطاب المحتل ورموزه وأفشلوا كافة المخططات الهادفة لتقويض استقلال وهوية وكيان لبنان. لقد مهد نضال التيار وحكمة قائده الطريق للقيادات اللبنانية كافة لتغيير خطابها السياسي وتبني خطابه اللبناني الصرف، الخطاب السيادي الحر المطالب باستعادة القرار وخروج القوى الغربية واحترام حقوق كافة الشرائح اللبنانية وتنوعها الحضاري والديني والثقافي. إن خطاب التيار حضاري علماني مبني على إيمان لا يتزحزح بقدرة اللبنانيين خلق المعجزات والتعاش مع بعضهم البعض وحكم بلادهم دون وصاية من قريب أو غريب، وبعودة بعض القيادات اللبنانية إلى الخطاب السيادي للتيار يصح المثل اللبناني المعروف القائل: "بالنهاية ما بيصح إلا الصحيح".

منذ اليوم الأول لتوليته رئاسة مجلس الوزراء سنة ١٩٨٨ حدد العماد ميشال عون بجرأة وعقلانية الثوابت اللبنانية الوطنية الكفيلة بتحرير الوطن من القوى الغربية وتوحيد أهله وفرض سلطة القانون واحترام الحقوق والحريات. لقد رفع العماد وما زال، راية تلاقى اللبنانيين دون وصاية من أحد ليتحاوروا ويقرروا بحرية ماذا يريدون دون خوف أو إرهاب. خطابه الوطني هذا جمع كافة اللبنانيين في قصر الشعب تعبيراً عن إيمانهم بلبنان السيد الحر المستقل ولاقى تأييداً شعبياً قل نظيره، كما لاقى قبولاً عربياً لافتاً حين عرضه في قمة تونس العربية وكاد أن ينجح في مسعاه الهادف لتحرير الوطن بدعم عربي لولا التدخل الدولي والإقليمي السافر الذي أجهض الحالة اللبنانية بالقوة العسكرية سنة ١٩٩٠ وأحل مكانها حالة سورية-إسرائيلية ما زالت تهيمن على لبنان حتى يومنا هذا.

إن التاريخ يعيد نفسه وإرادة الشعوب هي دائماً التي تنتصر في النهاية وشروق شمس الحرية في لبنان لم يعد ببعيد أبداً لأن لكل ظالم نهاية ولأن الشعب اللبناني قرر سلوك طريق التحرير والتحرر ولم يعد قادراً على تحمل التهميش والتغريب في وطنه. السيد وليد جنبلاط كان في مقدمة القيايين الذين قرروا العودة إلى الجذور اللبنانية وإعطائها الأفضلية القصوى بهدف تخليص البلد من المعاناة التي يزرع تحت نبرها. الوزير اللواء عصام أبو جمرة الذي

أبعدته الحالة السورية-الإسرائيلية مع باقي أعضاء الحكومة العسكرية الشرعية إلى المنفى علق على تبني جنبلاط الخطاب السيادي بقوله: "إن فاتحة تحرير لبنان هي بوحدة الجبل والحقائق الثابتة في تاريخ لبنان وواقعه أن الجبل المتحد هو العمود الفقري للبنان المتحد القادر على الصمود في وجه كل التحديات السياسية القريبة والغريبة. وعودة وليد جنبلاط إلى أهله وجيرانه في الجبل لمحاربة التسلط والقمع القريب والغريب والتخلص من كابوس الاستعمار الشقيق حققت له ما حققت لأجداده ولوالده من نصر". وتساءل أبو جمره فيما إذا كان جنبلاط سيغيّر مساره قبل صياح الديك، أم أنه سيتابع التمرد والتحدي لتحقيق سيادة السلطة بخروج الجيوش غير اللبنانية. جنبلاط أكد أنه ثابت على مواقفه الجديدة وهو سيعمل مع الجميع وخصوصاً مع العماد عون من أجل التعايش والحوار واستعادة السيادة والاستقلال وقال في مؤتمر صحفي في ٢٩/٨/٢٠٠٠: "الأحزاب ذات العقائد القديمة المتحجرة والطابع المنغلق والعنصري انتهت، لا بد من أحزاب جديدة على الساحة اللبنانية والعربية والعالمية. حتى الحزب الاشتراكي لا يمكن أن يستمر بصيغته القديمة، فكيف بالأحرى الأحزاب ذات العقائد التي تحرضك بما يسمى "أمة سورية" أو "أمة عربية". ليس هناك "أمة سورية" و "أمة عربية" بل هناك ثقافة كبيرة جداً عربية هائلة، مسيحية، إسلامية تعود إلى آلاف السنين، ولا يوجد "دم عربي" أو "دم سوري" سقطت هذه المقولة، ولا بد من انفتاح جديد".

لقد ساند المسيحي في الجبل جنبلاط ورحب بمواقفه اللبنانية السيادية الجديدة رغم كل جراحه النازفة ومعاناته وتهجيرته التي يتحمل جنبلاط شخصياً قسطاً كبيراً من مسؤولياتها الرئيسية، وإن دل الموقف المسيحي الجبلي الوطني هذا على شيء فعلى تعلق المسيحي بوطنه وقبوله بمبدأ التعايش واستعداده التام لطي صفحة الماضي وفتح صفحة جديدة، والموقف الكبير هذا يؤكد تعلق المسيحي بلبنانه وبانتمائه لثربة وقيم وطنه قبل أي انتماء آخر. فهو وقف مع جنبلاط الدرزي العائد إلى الخطاب السيادي وعارض لحود الماروني المتخلي عن السيادة.

إن عودة جنبلاط لجزوره اللبنانية، ونتمنى أن تكون عودة دائمة لتتبعها عودة الآخرين، ستؤسس في حال تم التعامل معها بواقعية وتفاني وعض على الجراح إلى وحدة الجبل، ومع وحدة الجبل يعود لبنان لأهله ويعودون هم إليه.

إننا نعيش على رجاء القيامة، قيامة لبنان الحر، لبنان الرسالة والمحبة والتعايش والكرامة، قيامة لبنان بتعاقد كل أبنائه البررة، والتيار الوطني الحر الذي قبض لقائده حمل مشعل السيادة في يدٍ، يحمل في اليد الأخرى المذرى لينقي بيده، فهو سيجمع مع المؤمنين بلبنان الكيان والإنسان الحر، القمح في أهرائه ويحرق التبن بنار لا تنطفئ.